صحوة التوعية التاريخية لـ «المحرقة» في السعودية بالذات

بواسطة روبرت ساتلوف (/ar/experts/rwbrt-satlwf-0)

يناير
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/historic-holocaust-awareness-awakening-saudi-arabia-all-places) /
Farsi (/fa/policy-analysis/bydary-tarykhy-drbarh-hwlwkast-dr-myan-swdyha)

عن المؤلفين

روبرت ساتلوف (/ar/experts/rwbrt-satlwf-0)

روبرت ساتلوف هو المدير التنفيذي لمعهد واشنطن منذ عام 1993. ونظراً لكونه خبيراً في السياسات العربية والإسلامية بالإضافة إلى سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، فقد كان للدكتور ساتلوف العديد من الكتابات والخطابات حول عملية السلام العربي الإسرائيلي، والتحدي الذي يمثله الإسلاميون تجاه النمو الديمقراطي في المنطقة، والحاجة إلى دبلوماسية عامة تتميز بالجرأة والابتكار بالنسبة للعرب والمسلمين.

مقالات وشهادة

يصادف يوم السبت السابع والعشرين من كانون الثاني/يناير - الذي هو الذكرى السنوية لتحرير معسكر "أوشفيتز" [للاعتقال والإبادة من قبل ألمانيا النازية] - "اليوم الدولي لإحياء ذكرى «المحرقة»". ويحث قرار الأمم المتحدة - الذي أرسى الأساس لإحياء هذه الذكرى - جميع الدول على "وضع برامج تثقيفية لغرس ذكرى المأساة في نفوس الأجيال المقبلة لمنع وقوع إبادة جماعية مرة أخرى". وقد اتخذت المملكة العربية السعودية خطوة أولى هامة نحو الوفاء بهذه المهمة.

ماذا قلنا المملكة العربية السعودية أرض النقاء الديني التي احتفل ملكها (فيصل) فيما مضى بـ "بروتوكولات حكماء صهيون" كوقائع تاريخية والذي ندد ممثله في الأمم المتحدة ذات مرة (جميل بارودي في عام 1976) بيوميات آن فرانك ووصفها كمزيفة وادّعى بأن قتل الملايين من اليهود من قبل النازيين كان خيالاً الدولة التي لم تضم فقط بين مواطنيها 15 من بين 19 مرتكبي هجمات 11 أيلول/سبتمبر بل أن تسلسلها الهرمي الديني عمل لعقود من الزمن على تصدير التعصب وعدم التسامح إلى المساجد والمدارس الدينية في جميع أنحاء العالم مما أجج الكراهية التي ازدهرت من خلالها تنظيمات وحركات كـ «القاعدة» و«الدولة الإسلامية» و «حماس» وجميع الحركات الإسلامية المتطرفة

نعم إنها المملكة العربية السعودية، وفيما يلي الخلفية.

في مطلع كانون الأول/ديسمبر المنصرم ترأستُ وفداً من الرؤساء العلمانيين لمركز الأبحاث لشؤون السياسة الخارجية الذي أُديره في زيارة إلى العاصمة السعودية الرياض، ومن بين كبار المسؤولين الذين التقينا بهم خلال زيارتنا التي استغرقت ثلاثة أيام الأمين العام لـ "رابطة العالم الإسلامي" الدكتور محمد العيسى.

إنها المنظمة التي طالما ذُكرت كمُسهّلة رئيسية للجهود العالمية التي تقوم بها السعودية لتصدير نسخة متطرفة من الإسلام المليء بالكراهية والمعادي للغرب والمعادي للسامية، ففي العام الماضي فقط وصف معهد بحوث بريطاني بارز المملكة العربية السعودية بأنها المصدر الرئيسي للتطرف الإسلامي في المملكة المتحدة وأشار إلى "رابطة العالم الإسلامي" كمحور حاسم في هذا المشروع.

ومن الناحية العملية يبدو أن التغيير داخل "رابطة العالم الإسلامي" بدأ بتعيين العيسى في آب/أغسطس 2016. وكان قد شغل سابقاً منصب وزير العدل السعودي، وحيث يأخذ قيادته من ولي العهد الحالي محمد بن سلمان الذي تعهد بتطهير بلده من التطرف وإعادته إلى "الإسلام المعتدل" يبدو أن العيسى يتمتع بصلاحية محددة لتحويل "رابطة العالم الإسلامي" من منظمة مرادفة للتطرف إلى منظمة تُبشر بالتسامح.

وما لا يقل أهمية هو أن العيسى قد وعد بإعادة تشكيل "رابطة العالم الإسلامي" وتحويلها إلى منظمة تركز على الدين فقط مع استبعادها تماماً عن السياسة باستثناء سياسات مكافحة التطرف.

كنتُ متشككاً. ففي السعودية حيث تعول العائلة المالكة على حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة كمصادر رئيسية لشرعيتها وحيث أن الممارسة الدينية العلنية للصلاة غير الإسلامية محرّمة فإن الدين والسياسة يرتبطان ارتباطاً وثيقاً ببعضهما البعض.

ولكن في اجتماعنا في كانون الأول/ديسمبر أثار العيسى ملاحظة مثيرة للإعجاب. ليس فقط من خلال تأكيده على التزامه الراسخ بالتواصل الديني - وهو أمر غير عادي بالنسبة للسعودية - وتحدّثه باعتزاز عن زيارته الأخيرة إلى كنيس يهودي في باريس إلّا أنّه رفض أن يلتقط الطُّعم (لم يقع في الفخ) عندما سُئل عن رأيه حول اعتراف الرئيس ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل. وإذا كنتُ أتوقع من أي مسؤول سعودي أن يبدي قوته ويَعِظ حول علاقة المسلمين بالقدس ويشجب قرار الرئيس الأمريكي بالاعتراف بسيادة الدولة اليهودية في أي مكان في المدينة لكان هذا الشخص الأمين العام لـ "رابطة العالم الإسلامي". وبدلاً من ذلك رفض التعليق بأدب قائلاً فقط إن "الرابطة" ملتزمة بالسلام وليست هيئة سياسية.

وعندما عدتُ إلى الولايات المتحدة كتبتُ إلى العيسى وشكرتُه على اجتماعنا ودعَوْتُه إلى واشنطن لمخاطبة المؤتمر السنوي للمعهد الذي أديره في أيار/مايو. ولكنني أضفت طلباً آخر حيث كتبتُ: إذا ما جاء إلى العاصمة الأمريكية أحثه على زيارة "المتحف التذكاري لـ «المحرقة» في الولايات المتحدة" ولقاء مديرته سارة بلومفيلد.

وفي هذا الصدد أود أن أذكر أنه لمدة دامت أكثر من 15 عاماً كانت إحدى شُغُفي الشخصية هو إشراك العرب والمسلمين في النقاش حول "الهولوكوست" ("المحرقة"). ويستند ذلك إلى إيماني بأن هدم جدران إنكار"المحرقة"- المنتشر على نطاق واسع في الثقافة العربية والإسلامية - هو عنصر جوهري في الكفاح الأوسع ضد الكراهية التي تقع في صميم التطرف الإسلامي. كان لي شرف العمل مع "المتحف التذكاري لـ «المحرقة» في الولايات المتحدة" في محاولة طموحة لإضفاء الشرعية على المناقشات المتعلقة بـ "الهولوكوست" في البلدان العربية والإسلامية والمساعدة في منع حدوث إبادة جماعية في المستقبل من خلال نشر دروس "المحرقة".

لقد حققنا نجاحاً باهراً وخاصة في المغرب (حيث أيّد شقيق العاهل المغربي مؤخراً تدريس "المحرقة" كأداة مهمة في المعركة ضد التطرف) وفي تونس (حيث يعقد المجتمع المدني هذا الأسبوع مراسم "يوم ذكرى «المحرقة»").

في أحلامي الأكثر خيالية لم أفكّر على الإطلاق بأن السعودية جديرة بأن تُدرج على قائمة البلدان "التقدمية". لكن العيسى فاجأني. وسرعان ما تلقيتُ جواباً يُرحب بدعوتي ويوافق على زيارة المتحف. وفي حين أنه لن يكون أول مسلم بارز يقوم بزيارة المتحف إلّا أن الأمين العام لـ "رابطة العالم الإسلامي" سيكون أرفع مسؤول ديني مسلم يقوم بمثل هذه الزيارة - وهي خطوة هامة في عملية إضفاء الشرعية على النقاش الإسلامي حول "المحرقة".

وبعد بضعة أيام كانت لي فكرة أخرى على غرار: "لِمَ لا ". فحيث يصادف السابع والعشرين من كانون الثاني/يناير يوم السبت كتبتُ إلى العيسى مستفسراً عما إذا كان سيبعث برسالة إلى بلومفيلد بمناسبة "اليوم الدولي لإحياء ذكرى «المحرقة»" بحيث يمكنها نشرها على الملأ. واقترحتُ أن تعكس الرسالة مقاربته ونهج "رابطة العالم الإسلامي" تجاه "المحرقة" والمعركة الأوسع من أجل التسامح والاعتدال.

على أقصى تقدير توقّعتُ أن يرسل ملاحظة مقتضبة طاهرة. فعلى الرغم من كل شئ ليس لدى المسؤولين السعوديين الكثير مِن كُتب الإرشادات حول كيفية كتابة رسائل لإحياء ذكرى "الهولوكوست". ولكن مرة أخرى فاجأني العيسى. فقد كتبَ رسالة طويلة تم نشر جميع كلماتها الـ 623 وبإذن من "متحف «المحرقة»" على موقع معهد واشنطن **(http://www.washingtoninstitute.org/ar/press-room/view/statement-on-holocaust-remembrance-from-head-of-saudi-based-muslim-world-le)**. وفي رسالته وصف «المحرقة» بأنها "الحادثة التي هزّت البشرية في العمق وأسفرت عن فظائع يعجز أي إنسان منصف ومحبّ للعدل والسلام أن ينكرها أو يستهين بها".

سوف أقتبس بإسهاب مما كتبه: "لا التاريخ سينسى هذه المأساة الإنسانية التي ارتكبتها النازية الشريرة ولا أحد سيمنحها مباركته ما عدا النازيين المجرمين وأمثالهم. إن الإسلام الحقيقي يحرّم هذه الجرائم ويدينها بأقصى درجات العقوبات الجنائية ويصنّفها ضمن أقبح الفظائع الإنسانية على الإطلاق.

"أي امرئٍ عاقل يمكن أن يتقبّل أو يتعاطف أو حتى يقلل من حجم هذه الجريمة الوحشية عزاؤنا الوحيد هو أن ذاكرة التاريخ منصفة وحيّة وأن العدالة باسم البشرية جمعاء تحزن وتأسف على هذه الجريمة بعيدًا عن كل التحيزات. لقد دفع هؤلاء الضحايا حياتهم البريئة ثمن تذكيرٍ لا يُنسى بالحرية والعزم فكانت تضحيتهم نموذجا يعكس مدى الحقد النازي الذي أوقع العالم في الحروب والكوارث".

وحول إنكار "المحرقة" كانت للعيسى كلمات قاسية بشكل خاص:

"التاريخ لا يعرف الانحياز مهما حاول المخادعون التلاعب أو العبث به. ومن هنا نعتبر أن أي إنكار للهولوكوست أو تقليلٍ من تأثيراتها هو جريمة تشويه للتاريخ وإهانة لكرامة الأرواح البريئة التي أزهقت لا بل هو إساءة لنا جميعًا لأننا جميعنا ننتمي إلى الروح البشرية نفسها ونتقاسم الروابط الروحانية نفسها".

وعلى عكس العديد من المحاورين المسلمين الذين ناقشتُ معهم هذه القضايا على مر السنين لم يحاول العيسى إبعاد الانتقادات المحتملة الناتجة عن مشاركته في الحديث عن "المحرقة" من خلال تستره وراء التشابه الكاذب لـ "الإبادة الجماعية" التي يُزعم أن إسرائيل تمارسها ضد الفلسطينيين. بل على العكس من ذلك فقد ابتعد عن القضية تماماً وبدلاً من ذلك أكد الاستراتيجية غير السياسية التي أعلن عنها في اجتماعنا في الرياض وهي أن: "«رابطة العالم الإسلامي » مستقلة تماماً عن أي أهداف سياسية أو ميول أو غير ذلك لكنها تُعبّر عن رأيها بحيادية تامة وهذا الحياد لا يعتمد على أي لهجة سياسية على الإطلاق".

وعلى وجه العموم إنها وثيقة جديرة بالملاحظة - لافتة للنظر في تأليفها ومحتواها ورحابتها ورسالتها. أَفْترِض أن هناك العديد من الأسباب - بعضها مقدسة وبعضها أقل من ذلك - وراء اتخاذ رئيس "رابطة العالم الإسلامي" المبادرة للكتابة والتنديد بإنكار "المحرقة". وكما يودّ ابني المراهق القول هذه ليست أول مهماتي. ولكن الفعل أكثر أهمية بكثير من الدافع. وبعد كتابة كلمات العيسى لا يمكن التراجع عنها بسهولة. وبفضله سيتم تذكر هذا "اليوم الدولي لإحياء ذكرى «المحرقة»" باعتباره المناسبة التي اتخذت فيها السعودية - المدافعة عن أقدس موقعين في الإسلام - خطوة هائلة نحو الانضمام إلى العالم في اعترافها بالإثم الكبير الذي ارتُكب في "الهولوكوست". هل يجب القيام بالمزيد بكل تأكيد. ولكن دعونا ننسب الفضل إلى أهله.

روبرت ساتلوف هو المدير التنفيذي لمعهد واشنطن ومؤلف كتاب: "من الصالحين: قصص ضائعة من انتشار «المحرقة» البعيد إلى البلاد العربية". ❖

"نيويورك ديلي نيوز"

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Unpacking the UAE F-35 Negotiations

/ /

◆

Grant Rumley

(/policy-analysis/unpacking-uae-f-35-negotiations)

ARTICLES & TESTIMONY

How to Make Russia Pay in Ukraine: Study Syria

/ /

◆

Anna Borshchevskaya

(/policy-analysis/how-make-russia-pay-ukraine-study-syria)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

السياسة العربية والإسلامية **(ar/policy-analysis/alsyast-alrbyt-walaslamyt/)**

العلاقات العربية الإسرائيلية **(ar/policy-analysis/allaqat-alrbyt-alasrayylyt/)**

الديمقراطية والإصلاح **(ar/policy-analysis/aldymqratyt-walaslah/)**

الخليج وسياسة الطاقة **(ar/policy-analysis/alkhlyj-wsyast-altaqt/)**

المناطق والبلدان

إسرائيل **(ar/policy-analysis/asrayyl/)**

دول الخليج العربي **(ar/policy-analysis/dwl-alkhlyj-alrby/)**